Relations of war and peace between al-Zahir Baybars and the Nuba kings

Dr. Ghada Hassan*
Dr. Bashar Abbas**
Mazen Zahra***

(Received 14 / 6 / 2021. Accepted 29 / 11 / 2021)

□ ABSTRACT □

Al-Zahir Baybars' relations and conflict with the kings of Nubia are inseparable from the traditional conflict between East and West, specifically between the Muslim East and the Christian West. The popes of the West do not wish to see a strong Muslim state on the other side of the Mediterranean, competing with them in matters of trade, and controlling European pilgrimage places They had previously tried to carry out an armed pilgrimage called the Crusades, and it continued in various forms, including supporting the states surrounding the Mamluks, so they carried out harassment on their borders, the Mamluks responded with force and launched campaigns that resolved the situation, and brought the Nubians out of the conflict, as an arm of the Christian West, according to conditions set and imposed by the Mamluks.

Keywords: Nubia - Baybars - a war of relations - treaty – Christianity

* **Professor - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria. boudihassan@yahoo.fr**
****Assistant Professor-Department of History -Faculty of Arts and Humanities-University Tishreen-Lattakia-Syria. BasharAbbas@gmail.com**
***** PhD Student - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria. ZAHRA.MR@hotmail.com**

علاقات الحرب والسلم بين الظاهر بيبرس وملوك النوبة

د. **غادة حسن**•
د. بشار عباس••
مازن زهرة•••

(تاريخ الإيداع 14 / 6 / 2021. قبل للنشر في 29 / 11 / 2021)

□ ملخّص □

لا تنفصل علاقات الظاهر بيبرس وصراعه مع ملوك النوبة، عن الصراع التقليدي بين الشرق والغرب، وتحديدا بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، فباباوات الغرب لا يرغبون برؤية دولة مسلمة قوية على الطرف الآخر من البحر المتوسط، تنافسهم في أمور التجارة، وتسيطر على أماكن الحج الأوربية، فقد حاولوا سابقا القيام بحج مسلح سمي بالحروب الصليبية، واستمر بأشكال متعددة، منها دعم الدويلات التي تحيط بالمماليك، فقاموا بتحرشات على حدودهم، رد المماليك بقوة وقاموا بحملات حسمت الموقف، وأخرجت النوبيين من الصراع، كذراع للغرب المسيحي، وفق شروط حددها وفرضها المماليك.

الكلمات المفتاحية: النوبة ـ بيبرس ـ حرب علاقات ـ معاهدة ـ المسيحية

* أستاذ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.boudihassan@yahoo.fr
**مدرس– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– سورية. BasharAbbas@gmail.com
***طالب دكتوراه – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية. ZAHRA.MR@hotmail.com

مقدمة

قامت دول المماليك[1] في مصر في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي عام 648هـ/1250م، وفي بلاد الشام عام 659هـ/1260م، وقد أخذ سلاطين المماليك على عاتقهم، بعد أن استقرت لهم الأمور في داخل البلاد، مهمة الدفاع عن حدود دولتهم في مصر وبلاد الشام ضد القوى الخارجية غير الإسلامية المحيطة بهم من مغول وصليبيين وذلك من أجل الظهور بمظهر الحماة للإسلام من الأخطار التي تهدده.

وبما أن المماليك قد وجهوا جزءاً كبيراً من طاقاتهم لمحاربة الصليبيين المسيحيين في بلاد الشام والذين يهددون الكيان الإسلامي، فإن النوبة المسيحية لا تقل تهديدا للمسلمين في جنوب مصر ولا بد من محاربتها والقضاء عليها[2].

وقد شهدت العلاقات بين دولة المماليك ومملكة النوبة اضطرابات كبيرة، وذلك بسبب عاملين:

الأول: عدم التزام النوبيين بدفع البقط[3] ومحاولاتهم التحلل من شروط هذه الاتفاقية.

الثاني: غارات النوبة المتكررة على حدود مصر الجنوبية بغية السلب والنهب والتخريب، مما دفع سلاطين المماليك إلى تسيير حملات انتقامية على بلاد النوبة. بالإضافة إلى محاولات ملوك النوبة التأثير على التجارة المملوكية بتعرضهم للتجارة المارة بالصحراء الشرقية عن طريق ميناء عيذاب[4] ولقد استمرت الحروب سجالا بين مملكة النوبة وبين المماليك في مصر لمدة طويلة من الزمن، وقد أدى ذلك إلى ضعف المملكة ثم انهيارها فيما بعد.

أهمية البحث وأهدافه

تأتي أهمية البحث من خلال محاولة تتبع علاقات الدولة الملوكية في مرحلة من أدق مراحلها، مع دولة تشرف مباشرة على حدودها الجنوبية، فتفرض علاقات اجبارية معها، تحددها طبيعة الصراع السياسي العام في المنطقة، والمكانة الجغرافية، والدور الاقتصادي وحجم الثروات، ومحاولة معرفة الدوافع الحقيقية لتغيرات تلك العلاقات، والتي لا غنى عنها لفهم حقيقة الأوضاع في تلك المرحلة، فهناك غموض حاصل في الكثير من التفاصيل، خصوصاً مع تنوع الجبهات التي يخوض عليها المماليك حروبهم السياسية والاقتصادية والعسكرية، ولا سيما مع المغول والصليبيين، فالمماليك كانوا يشعرون بالوجود في وسط معاد على المستوى الخارجي، وحذر اجتماعي في الداخل، وحاولوا فرض نوع من التبعية في علاقتهم بالنوبة، خصوصاً بعد هزيمتهم للمغول والفرنجة، وظهورهم كمركز الثقل في العالم الإسلامي.

---

[1] لفظ مملوك (ج. مماليك) مشتق من الفعل العربي ملك، ويقصد به جموع الرقيق الأبيض الذين جلبهم التجار الى البلاد الإسلامية. أخذ عدد المماليك يتكاثر في مصر زمن الايوبيين، وأخذ نفوذهم يزداد ويعظم في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب (636-647هـ/1240-1249م)، وقد شكلوا طبقة عسكرية مهمتها الدفاع عن السلطان. ثم أصبحوا في النهاية الطبقة الحاكمة وذلك بعد انتصارهم على الفرنجة في معركة المنصورة عام 648هـ/1250م. واتفق المؤرخون على تقسيم دولة المماليك الى قسمين: الأول الدولة المملوكية الأولى المعروفة باسم دولة الأتراك أو البحرية لأن معظم سلاطينها من الاتراك الذين أسكنهم الصالح جزيرة الروضة، وجعل منهم فرقة البحرية الصالحية. أما القسم الثاني فهو الدولة المملوكية الثانية التي أطلق عليها اسم دولة الجراكسة أو المماليك البرجية، لأن معظم سلاطينها من الجراكسة الذين اشتراهم السلطان قلاوون، وأنزلهم أبراج قلعة الجبل. للمزيد من التفاصيل انظر، طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط1، 1997.

[2] عاشور (سعيد عبد الفتاح)، العصر المماليكي في الشام ومصر، المطبعة العربية، القاهرة، 1976، ص 80.

[3] مال وذهب كان يدفعه النوبيين للمماليك تطبيقا للاتفاقية الموقعة بينهما، للمزيد انظر عاشور، العصر المماليكي، ص137

[4] الجمل (شوقي)، تاريخ المسلمون في أفريقيا، ومشكلاتهم، دار الثقافة للتوزيع والنشر، القاهرة، 1996، ص 63.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادر، ومراجع خاصة بموضوع البحث، ودراستها وتحليلها ونقدها، واستخراج ما يفيد أي باحث في هذا السياق، واستخلاص الأفكار المناسبة للوصول الى نتائج مقاربة للحقيقة.

1-العلاقات بين مملكة النوبة والسلطان الظاهر بيبرس (671-676هـ/1272-1277م)

استغل النوبيون المشاكل التي عانى منها المماليك وخاصة ثورات القبائل العربية المستمرة في الوجه القبلي[5]، فتحدوا سلطة المماليك ونفوذهم، وامتنعوا عن دفع البقط السنوي المقرر عليهم منذ أيام عبد الله بن أبي السرح. الوالي الذي كلفة معاوية بولاية مصر، لذلك اتجهت سياسة السلطان الظاهر بيبرس[6] وبعد إحكام السيطرة على القبائل العربية في الصعيد للسيطرة على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، فقام بإرسال حملة عسكرية تمكنت من الاستيلاء على ميناء سواكن سنة 664هـ/1265م وأبقى بها حامية مملوكية. وكانت ذريعة السلطان لإرسال هذه الحملة عدم استجابة ملك سواكن لاحتجاج أرسله إليه بسبب تعرضه لأموال من كان يتوفى بسواكن من التجار المصريين[7]. وكان قبل الخروج بالحملة قد وصلت سفارة من قبل حاكم النوبة داود الذي أبلغ السلطان بتسلمه مقاليد الحكم، وأهداه هدايا نفيسة، فاعترف به بيبرس ملكاً، غير أنه أصر على دفع الجزية المحددة بالبقط[8].

---

[5] بدأ المماليك الحكم في مصر بصراع قوي مع القبائل العربية التي رفضت الانصياع والخضوع للمماليك باعتبارهم رقيق، وإنهم أولى بحكم مصر منهم، فنادى زعماء بعض القبائل بالوقوف ضد الحكم المملوكي الجديد، وأمروا أتباعهم بعدم الخضوع لهم. وكانت قد انتشرت في مصر أحلاف عربية تضم مجموعة من القبائل متصلة النسب خلال عصر الولاة، وكانت تسعى إلى تدعيم مركزها، وإعادة سلطانها، وخاصة في وجه التيار التركي الذي ارتكز في أساسه على العناصر المجلوبة إلى مصر من اتراك وتركمان وغيرهم، ومن هذه الأحلاف التي وقفت ضد المماليك، حلف ربيعة. انظر حمد الله (محمد خلف)، الحرب والمجتمع في بلاد النوبة خلال الحكم المملوكي لمصر في الفترة (648-923هـ/1250-1517م)، المنيا، 1437هـ/2016م، ص 79-80.

[6] هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، رابع سلاطين دولة المماليك البحرية، ولعله أبرزهم لأن الفضل يعود إليه في ترسيخ دعائم دولة المماليك ما بين 659-676هـ/1260-1277م. تركي الجنس، كان مملوكاً للأمير أيدكين البندقدار الصالحي، أحد مماليك السلطان نجم الدين أيوب، فلما نقم السلطان على الأمير أيدكين قام باعتقاله، وضم مماليكه إلى المماليك السلطانية ومنهم بيبرس. ولد سنة 620هـ/1223م، وتوفي يوم الخميس 28 المحرم/1 تموز 676هـ/1277م. لفت فيه سيرتان: الأولى كتبها محي الدين ابن عبد الظاهر (الروض الزاهر) واختصرها شافع بن علي (المناقب السرية) والثانية للمؤرخ عز الدين ابن شداد (تاريخ الملك الظاهر). للمزيد انظر الصفدي (صلاح الدين بن أيبك ت. 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، ج10، تح. أحمد الأرناؤوط-زكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ص 329-348.

[7] ابن عبد الظاهر (محي الدين ت. 692هـ/1293م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح. عبد العزيز الخويطر، ط1، الرياض، 1396هـ/1976م، ص 248، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت. 845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح. محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، ج2، ص 5، مسعد (مصطفى محمد)، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1960م، ص 144.

[8] شافع بن علي (ت.730هـ/1330م)، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تح. عبد العزيز الخويطر، ط2، الرياض 1410هـ/1989م، ص 207، توراو (بيتر)، الظاهر بيبرس، تر. محمد جديد، مر. أحمد حطيط، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 2002م، ص 181.

كان لسقوط ميناء سواكن بيد المماليك أثر كبير على ممالك النوبة، لأنه أدى إلى إحكام الرقابة والسيطرة من قبل الولاة المسلمين على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، مع تهديده المباشر للنوبة التي كانت تعتمد بشكل أساسي في تجارتها على البحر الأحمر عن طريق ميناء سواكن على البحر الأحمر، كمنفذ لها مما أثر على اقتصادها ودخلها العام وعزلها عن العالم الخارجي، ولاسيما الأراضي المقدسة في بلاد الشام التي كان النوبيين يترددون إليها كثيراً. وبهذه الصورة أصبح المنفذ البحري لمملكة النوبة المسيحية على النيل تحت سيطرة الدولة المملوكية.

أ-غزو ملك النوبة للصعيد وأسوان

يبدو أن الضغط المملوكي على سواكن وما حولها من موانئ النوبة، دفع بالملك النوبي داود الأول الحاكم النوبي خلال فترة (670-672هـ/1271-1273م) سنة 671هـ/1272م إلى مهاجمة أسوان التي خربها ونهبها وسبى نساءها[9]، وجر قسم كبير من سكانها المسلمين إلى النوبة وسخرهم في بناء مكان في مملكته أطلق عليه اسم "عيذاب". وبنى في هذا المكان كنائس ومباني وميادين، ونقش عليها صوراً لقتلى المسلمين وأسراهم[10]. وكانت أسوان في ذلك الوقت تعج بالأسواق ومخازن المؤن. وفي العام نفسه هاجم عيذاب[11]، ونهبت هذه المدينة أيضاً نهباً كاملاً. وتعرض للنهب تجار من مصر، وقتلوا إلى جانب أهلها بما فيهم الوالي والقاضي[12]. وحول الملك داود الأموال والقوافل التجارية الواردة من الهند وسائر الشرق إلى مملكته[13].

في ذلك الوقت، كان تعرض ميناء عيذاب لهجوم ملك النوبة يشكل خطراً مباشراً على المصالح الاقتصادية للمماليك خاصة التجارية التي كانت مصدر قوة المماليك وسبب ثرائهم. ذلك أن ميناء عيذاب المعروف بميناء الذهب كان قد أصبح منذ مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، المركز الرئيس للنشاط التجاري المصري في البحر الأحمر. وقد ظلت تتمتع بهذا المركز المهم حتى بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[14]. لكن يمكن الاستنتاج من

[9] المقريزي، السلوك، ج2، ص 83، سرور (محمد جمال الدين)، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1983، ص 119-120. القوصي (عطية)، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 87.

[10] عبد الجليل (الشاطر البصيلي)، معالم تاريخ سودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1969، ص 104.

[11] عيذاب: هو من أهم موانئ البجة على ساحل البحر الأحمر. وكان هذا الميناء يستخدم للأغراض الحربية في بداية الأمر ثم أصبح يستخدم للأغراض التجارية وكان له دور رئيسي في استغلال معادن الذهب والزمرد اللذين يتوافران في وادي العلاقي الذي كان يمتد من أسوان إلى عيذاب. وفي العصر الإسلامي اشتهر كونه قاعدة بحرية تجارية لتجارة الشرق الأقصى عبر مصر إلى أوربا، وبذلك أصبحت عيذاب أكبر سوق تجاري آنذاك. بالإضافة إلى كونه ميناء مهم في طريق قوافل الحجاج إلى بلاد الحجاز إلى الأماكن المقدسة. للمزيد انظر الشامي (عبد العال عبد المنعم)، محاضرات في الجغرافية التاريخية، طريق عيذاب قوص خلال العصر الوسيط، القاهرة، 1988، ص 28-30.

[12] ابن أبي الفضائل (المفضل القبطي المصري ت. 672هـ/1273م)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج1، تح. وتر. إيتان بلوشيه، باريس، 1911، ص 211.

[13] مهنا (محمد نصر)، تأثير الحضارة الإسلامية على جنوب مصر، بلاد النوبة وسودان وادي النيل في العصور الوسطى، التاريخ العسكري والدور الحربي لجنوب مصر عبر العصور، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 17-18 أبريل، 1996، ص 81.

[14] القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص 87.

حركة الملك داود العدائية أنه لم يكن يهدف للتخلص من السيطرة المملوكية على سواكن فقط، بل أيضا لمساعدة الصليبيين في بلاد الشام، الذين فقدوا أجزاء كبيرة من ممتلكاتهم في بلاد الشام على يد السلطان بيبرس[15].

ويرى بعض الباحثين أن الصليبيين والنوبة كانوا يسعون للاتصال والتنسيق بينهما وتنظيم حركاتهم وتوجيهها لمحاربة سلطان مصر، وأن الدافع وراء قيام الملك النوبي داود الأول بهذا العمل يرجع إلى انعقاد المجمع المسكوني السابع في مدينة ليون بفرنسا[16] ذلك المجمع الذي حضره ألف من رجال الكنيسة والملوك والأمراء من الكاثوليك الغربيين ووفد من التتار وعدد من المسيحيين الشرقيين وملك القسطنطينية كلهم جاءوا بدعوة من البابا غريغوري العاشر[17](1271-1276م) الذي كان سفيراً مقيماً في أرض الصليبين في الشام وخبيراً بشؤون الشرق، وقرر المجمع إعداد حملة صليبية شاملة يشترك فيها جميع الملوك[18]. ويرجح وجود اتفاق سري بين ملك النوبة ومسيحي الشرق، وكان من بنوده مهاجمة مصر من جبهتين: الجبهة الشمالية التي تطل على البحر المتوسط ومنها تتقدم القوات الصليبية بأساطيلهم، والجبهة الجنوبية تتقدم منها جيوش النوبة والحبشة[19].

كانت هذه الاستراتيجية معروفة منذ أقدم العصور لجعل مصر بين فكي الرحى. ويبدو من الدلائل التاريخية والأثرية أن الصليبيين والنوبة كانوا يسعون للاتصال والتنسيق فيما بينهم لمحاربة سلطان مصر. لذلك فرض الأخير رقابة شديدة لمنع كل اتصال بين الاثنين[20].ولأسباب غير معروفة تصمت عنها المصادر لم تتحرك القوات الغربية ولم تتم الحملة الصليبية حسب المقررات المسكونية إلا ان الملك النوبي تحرك من الجنوب، وبدأ الحرب الاقتصادية والاحتكاك الحربي لشن هجومه على عيذاب.

كما يوجد رأي آخر بشأن دوافع ملك النوبة ضد أسوان وعيذاب، وهو تأثر النوبيون بما حدث لأقباط مصر من بعض حوادث الاضطهاد في عهد الظاهر بيبرس، وذلك لاتهامهم بحرق بعض أحياء القاهرة سنة 663هـ/1264م[21].فرد الملك بالانتقام من سكان أسوان وعيذاب.

---

[15] مسعد، الإسلام والنوبة، ص 145. تمكن السلطان بيبرس في السنوات العشر الواقعة بين 659-669هـ/1261-1271م، من الاستيلاء على بعض معاقل ومدن الصليبيين (قيسارية، يافا، عثليث، أرسوف، صفد، هونين وتبنين، الرملة، أنطاكيا، صافيتا، حصن الأكراد، القرين وحصن عكا). للمزيد انظر توراو، الظاهر بيبرس، ص 137-189.

[16] فانتيني (ج)، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية والسودان الحديث، الخرطوم، 1978، ص 162.

[17] ولد البابا جريجوري العاشر في إيطاليا عام 1210 وتوفي في 10 كانون الثاني 1276 تولى منصب البابوية من عام 1271 إلى عام 1276. اشترك في الحملة الصليبية التاسعة على عكا في فلسطين بقيادة إدوارد الأول ملك إنجلترا. للمزيد انظر توراو، الظاهر بيبرس، ص 242.

[18] فانتيني، تاريخ المسيحية، ص 163.

[19] مهنا، تأثير الحضارة الإسلامية، ص 81.

[20] يوجد في المتحف القومي بسودان وادي النيل تحفة أثرية تثبت وجود اتفاقيات بين بعض الدول الغربية ومملكة النوبة، وهي تمثال خشبي صغير لأحد الصليبيين الغربيين وهو يرتدي عدة الحروب بأكملها وقد تم اكتشافه في قرية نوبية قديمة. للمزيد انظر

Newbold, D., The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, *Sudan Notes and Records*, vol. 26, no. 2, 1945, p. 253.

[21] حمد الله، الحرب والمجتمع، ص 82.

Seignobod, R., "L'autre Ethiopie: la Nobie et la Croisade (XIIe-XIVe siècle)", Annales d'Ethiopie, vol. 27, annee 2012, p. 60-61.

ب-الحملة المملوكية الأولى والثانية

أرسل السلطان بيبرس في سنة 671هـ/1272-1273م حملة يقودها واليه على قوص لغزو النوبة، رداً على هجوم ملك النوبة داود على أسوان وعيذاب. وقد تمكنت هذه الحملة من الوصول إلى مدينة دنقلة، حيث تراجع الملك النوبي جنوباً حتى لا يقع في يد المماليك. فعادت الحملة بعدد من الأسرى، كما عاد داود إلى دنقلة بعد أن غادرتها الحملة المملوكية[22].

ومن المؤكد أن انشغال بيبرس بحروبه مع المغول والصليبيين في ذلك الوقت، حالت بينه وبين إرسال حملة كبيرة لتأديب ملك النوبة، لذلك نجد بأنه اكتفى بإرسال حملة صغيرة. والواضح أن مهمتها كانت دفاعية أكثر منها هجومية، غير أنها نجحت في حماية حدود مصر الجنوبية من غارات ملك النوبة لفترة. وقد كانت تلك الحملة بداية الصراع المملوكي النوبي، والذي استمر لمدة طويلة، وانتهى بالقضاء على المملكة المسيحية وتحولها للإسلام.

كان على بيبرس مواجهة ملك النوبة ووضع حداً لأعماله العدوانية وإخضاعه وتأمين التجارة المصرية. وقد أدى ضعف ملوك النوبة إلى انقسام الأسرة الحاكمة بين عدد من الأمراء المتنافسين على العرش، حيث لجأ كل منهم إلى حليف قوي لينصره، فاستغل بيبرس ذلك النزاع الداخلي، واغتنم فرصة لجوء أحد أفراد الاسرة الحاكمة النوبية واسمه شكندة، اختلف مع عائلته على شؤون الحكم، وقرر اللجوء إلى بلاط السلطان المملوكي طالباً المعونة والنجدة ضد ابن عمه داود الذي استولى على العرش غير وجه حق[23].

جهز السلطان حملة كبيرة في عام 674هـ/1275م، بقيادة الأميرين شمس الدين آقسنقر الفارقاني[24] الاستادار[25] وعز الدين أيبك الأفرم جاندار[26] وكان صحبتهما الأمير شكندة الذي خوله السلطان بيبرس بحكم ما يتم فتحه من بلاد النوبة[27]. اشتملت الحملة على ثلاثمائة فارس وأجناد الولايات وعدد من الرماة، ورجال الحراريق[28]، والزردخاناة[29]،

---

[22] المقريزي، السلوك، ج2، ص 83.

[23] ابن أيبك الدودار (أبي بكر بن عبد الله ت. 734هـ/1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، ج8، تح. أولرخ هارمان، مركز ودود للمخطوطات، القاهرة، 1973، ص 183، ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص 334.

[24] الأمير الكبير شمس الدين الفارقاني: كان أستاذ دار الملك الظاهر وممن يعتمد عليه ويقدمه على الجيوش. ثم إن الملك السعيد جعله نائب السلطنة، فلم ترض حاشية السعيد بذلك، ووثبوا على الفارقاني واعتقلوه، واختفى خبره 677هـ/1278م، فقيل إنه خنق عقيب الاعتقال. انظر الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله ت. 748هـ/1350م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 671-681هـ، ج50، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1420هـ/1999م، ص 262، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص 182-183،

[25] الاستادار: وظيفة أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان. وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى، وما يجري مجرى ذلك من المماليك وغيرهم. انظر كامل (محمد سيد)، الاستدار والاستدارية في مصر، عصر المماليك الجراكسة، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد التاسع، تموز 2008، ص 115.

[26] عز الدين أيبك الأفرم الكبير الصالحي: كان ساقي السلطان الصالح نجم الدين أيوب، ومن كبار الدولة المصرية له أموال كثيرة وأملاك عظيمة وخبز جيد. وكانت فيه برة وشجاعة. توفي سنة 695هـ/1294م. انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص 268.

أمير جاندار: هو الأمير الذي يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم إلى الديوان. للمزيد انظر نديم (محمود)، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، دار الكتب المصرية، 1983، ص 202.

[27] سرور (محمد جمال الدين)، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1983م، ص 120.

بالإضافة إلى مشاركة عربان الوجه القبلي. توغل الجيش المملوكي في بلاد النوبة، وخرج النوبيون إلى مواجهته وهم يركبون الجمال ويقاتلون بالرماح، وكانوا يرتدون عباءة من اللباد سوداء اللون وقاية لهم من السهام، تسمى الدكاديك. وبالقرب من مدينة دنقلة تقاتل الجيشان قتالا عنيفاً انتهى بهزيمة وفرار النوبيين الذين لم يكن في وسعهم الصمود أمام فرسان المماليك ذوي التجهيز والتدريب الأفضل[30].

استولى الأمير عز الدين الأفرم على قلعة الدو[31]، وأسر العديد من النوبيين، وزحف الأمير شمس الدين الفارقاني براً وبحراً في البحر الأحمر، في أثر من بقي من النوبيين، حتى وصل إلى جزائر ميكائيل[32]، قرب الشلال الثاني. فاضطر الملك داود إلى الفرار جنوباً إلى مملكة الأبواب بعد أن وقع العديد من رجاله في الأسر، وتسلم شكندة هذه البلاد المفتوحة. وحاول صاحب الجبل قمر الدولة[33] الهرب، ولكن قبض عليه ثم أخلي سبيله على أن يدخل في طاعة شكندة وكتب له أمان بذلك[34].

ثم توغلت الحملة في بلاد النوبة، فخشي صاحب الأبواب من سطوة المماليك الذين أظهروا قوتهم الحربية الكبيرة في هزيمتهم للنوبيين وقرر تسليم الملك داود إلى السلطان بيبرس الذي اعتقله بالقلعة إلى أن مات في السجن. عادت الحملة المملوكية إلى دنقلة بعد أن تم إخضاع النوبيين. وتقرر تعيين شكندة ملكاً للنوبة وتم تتويجه في دنقلة في نفس العام[35].

---

[28] الحراريق: مفردها حراقة، وهي سفن حربية متوسطة الحجم، تستخدم في حمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية، وبها مواضع خاصة تلقى منها النيران. والظاهر أن الحراريق كانت تستخدم في النيل لنقل الأمراء ورجال الدولة في الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية. وقد استعملت في جميع أنحاء العالم الإسلامي في العصور الوسطى. انظر العنزي (أحمد شامخ الحميد)، الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني في مصر والشام والحجاز 923/784هـ-1517/1384م، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 486، نديم، الفن الحربي، ص 210.

[29] الزردخاناة: أطلق الفظ أحياناً على السلاح نفسه، أو على السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب. انظر نديم، الفن الحربي، ص 217.

[30] توراو، الظاهر بيبرس، ص 202.

[31] قلعة "الدو" أو "الدر" في بعض المصادر وهي على الأرجح (عدة) المدينة المحصنة الثالثة بإقليم المريس بعد إبريم وفرس، بين أسوان ودنقلة، وهي تناسب بتحصينها كقلعة مقر حاكم الإقليم، وتعد من التحصينات العسكرية في بلاد النوبة. انظر حمد الله، الحرب والمجتمع، ص 84.

[32] جزيرة ميخائيل: إحدى الجزر المعروفة بهذا الاسم تقع عند مدخل الشلال الثاني. وهي مجموعة من الجزر الصخرية التي تكون الشلال الثاني جنوبي حلفا الحالية المعروفة باسم بطن الحجر. انظر حمد الله، الحرب والمجتمع، ص 84.

[33] صاحب الجبل: هو حاكم إقليم المريس، وهو أكثر الولاة مكانة باعتباره المسئول عن الجزء الشمالي من النوبة، من حيث الدفاع عن حدودها والإغارة على مناطق مصر الجنوبية. انظر المقريزي، المواعظ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ط 2، 1987 ج1، ص 190.

[34] المقريزي، السلوك، ج2، ص 94.

[35] لجأ الملك داود بعد هزيمته وهروبه إلى ملك الأبواب واسمه "أدر" أو "أدور"، وكان أحد الملوك التابعين لملك سوبا الكبير (مملكة علوة). لكن الملك أدور لم يقبل لجوئه، بل أرسله هو وابنه وأرسلهما إلى مصر. فأبقاهما السلطان في قلعة الجبل مسجونين.

ابن الفرات (ناصر الدين بن الفرات ت. 804هـ/1405م)، تاريخ الدول والملوك، ج7، تح. قسطنطين زريق وناجلا عز الدين، دار المطبعة الأميركانية، بيروت، 1938، ص 45. ج7، ص 50، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 227، عاشور، العصر المماليكي، ص 83، باز (كرم الصاوي)، ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها، وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل، مكتبة الأنجل المصرية، 2006، ص 97.

ج-معاهدة الظاهر بيبرس مع ملك النوبة شكندة عام 674هـ/1275م

استناداً إلى ما ورد في المصادر يمكن القول إن هذه الحملة تختلف بطابعها العام عما سبقها من حملات ضد النوبة فهي تعد "فتحاً حقيقياً للنوبة"[36]، لأنها وضعت اسساً جديدة للعلاقات بين الدولتين وذلك بالنظر إلى بنود الاتفاق الذي تعهد الملك المتوج شكندة بالالتزام به تجاه الدولة المملوكية. ومن أهم بنود هذا الاتفاق:

-أن الملك شكندة أصبح تابعاً للسلطان المملوكي، ونائباً عنه في حكم البلاد.

-أن يرسل شكندة نصف حصيلة ما يجمعه من بلاد النوبة خالصاً للسلطان، بالإضافة إلى ثلاثة أفيال، وثلاث زرافات، وخمس إناث الفهود، ومائة من الجياد الأصيلة، وأربعمائة بقرة.

-أن يدفع كل فرد من العقلاء البالغين ديناراً عيناً للسلطان ما بقوا على النصرانية، وذلك بعد أن عرض عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاختاروا القيام بالجزية.

-أن تكون بلاد العلى وبلاد الجبل[37] ملكاً خالصاً للسلطان، لقربها من أسوان، ويحمل ما يتحصل منها من التمر والقطن مع ما تقرر من القطيعة والجزية.

-أن يسلم ملك النوبة ما كان لسلفه داود وأخيه وأقاربه ومن قتل من عساكره، من متاع وعقار إلى السلطان.

-ألا يترك شكندة أحداً من العربان في بلاد النوبة، ومن وجده أرسله للسلطان.

-أن يطلع ملك النوبة المتوج السلطان بكل ما يصل إليه من أخبار.

-إطلاق سراح المسلمين الذين كانوا بالنوبة، لاسيما الذين أسرهم داود من أهل أسوان وعيذاب. وبعد كتابة هذه الشروط، حلف الملك شكندة اليمين على الالتزام بها واحترامها فقال: "...إني أخلصت نيتي وطويتي من وقتي هذا وساعتي هذه لمولانا السلطان الأعظم ركن الدين والدنيا بيبرس خلد الله ملكه، وإنني أبذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته وإنني ما دمت نائبه لا أقطع ما قرر علي في كل سنة تمضي"[38].

ثم رأى الأميرين آقسنقر الفارقاني وأيبك الأفرم ضرورة تأكيد هذا اليمين التي حلف عليها شكندة بيمين أخرى تتضمن ولاءه للسلطان بيبرس "ومتى ورد عليّ مرسوم السلطان في ليل أو نهار يطلبه (أي الملك شكندة) إلى الأبواب الشريفة يحضر لوقته وساعته ولا يتأخر بوجه من الوجوه إلا بمقدار ما يدبر ما يحتاج إليه من أمور السفر"[39].

بعد ذلك تم تتويج شكندة على عادة ملوك النوبة وجلس بمكان الملك داود، وحلف اليمين العظيمة عندهم على ما تقرر. وحلف أهل النوبة أيضاً بتلك الجهات بطاعة نائب السلطان وهو الملك شكندة المقيم بدنقلة، بشرط ولائه للسلطان، صاحب السلطة العليا في البلاد. ولا طاعة له عليهم إذا خرج على السلطان[40].

---

[36] ابن الفرات، ص 45.

[37] بلاد الجبل هي الجنادل الأولى (الشلالات) والعلى هي التي تليها جنوباً حتى جنوبي المحرقة تقريباً. للمزيد انظر حمد الله، الحرب والمجتمع، ص 86.

[38] ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج2، ص 236-238، المقريزي، السلوك، ج2، ص 94-95، ابن أيبك الدودار، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، ج8، ص 185-186، سرور، الظاهر بيبرس، ص 121-122.

[39] ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج2، ص 399.

[40] النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت. 733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الكتب والوثائق القومية، 1990، ج30، ص 222.

إن أهمية هذه الاتفاقية تكمن في أن الملك شكندة أصبح تابعاً للسلطان المملوكي، ونائباً له في حكم بلاد النوبة يدفع إليه الجزية، وبالتالي أصبحت بلاد النوبة جزءاً من السلطنة المملوكية، وأن السلطان المملوكي أصبح بيده عزل الملوك وتعيينهم. ثم أن حصيلة البلاد النوبية أصبحت مناصفة بين السلطان والملك النوبي، وقد طبقت الدولة المملوكية على النوبيين لأول مرة الأسس الإسلامية الخاصة بمعاملة أهل البلاد التي تفتح عنوة. فعرضت الإسلام أو الجزية واختار الملك النوبي دفع الجزية. فأصبح النوبيون أهل ذمة[41]. ولذلك أنشأ السلطان بيبرس في القاهرة ديواناً سماه ديوان النوبة، ومهمته مراقبة جمع الجزية والخراج من النوبة وتعيين العمال لذلك[42].

كما حرصت الاتفاقية على مد السيادة المملوكية مداً فعلياً على بلاد النوبة، وذلك لأول مرة منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر. من ذلك أن بلاد العلى وبلاد الجبل أصبحت ملكاً خاصاً للسلطان، وهي حسبما ورد في المراجع تقدر بربع بلاد النوبة[43].

كما أصبحت قلعتي الدو وأبريم وهما قلعتان حصينتان قريبتان من أسوان خاضعتين للسلطان وهذا يعني امتداد الحدود المصرية جنوباً حتى شملت النوبة الشمالية كلها بما فيها أرض المريس. وقد ذكر المؤرخون قائمة القرى والحصون التي يملكها السلطان بيبرس ملكاً خاصاً له. وقد ذكروا هذه الأماكن لأهميتها مثل جزيرة فيلة وضواحيها وهي بالقرب من أبريم والدو، وجزيرة ميكائيل ودنقلة وغيرها وهذه الأماكن تقع خارج أرض المريس، ولكن السلطان وضع فيها فرقة من جنوده للحراسة. كما أقطع السلطان هذه الأماكن لأحد أقرباء الملك الجديد شكندة[44]. وهذا يعني سيطرة الدولة المملوكية على منطقة المريس وما حولها من بلاد النوبة أي أنها أصبحت تسيطر على بني كنز في بلاد النوبة ذلك أن أرض المريس هي المنطقة التي رحلوا إليها بعد هزيمتهم على يد الأيوبيين[45].

وكان بنو الكنز قد قاموا في بناء إمارتهم الثانية في المريس وفقاً للأسلوب الأول الذي اتبعوه في بناء دولتهم الأولى في أرض المعادن، فاختلطوا بالأهالي واندمجوا معهم عن طريق المصاهرة[46]. وتمكنوا من بسط نفوذهم على المريس وخاصة بعد أن صاهروا البيت الحاكم النوبي في دنقلة. ويبدو أنهم استطاعوا أن يستولوا على قلعة الجبل أهم القلاع في منطقة المريس. وأن يعترف ملك دنقلة برئيسهم نائباً عنه في حكم قلعة الجبل.

وقد أوردت المصادر العربية هذه الأخبار، وذكرت أن صاحب الجبل عند هجوم القوات المملوكية كان شخص يسمى قمر الدولة، وهذا الاسم العربي يبدو أنه من أمراء بني الكنز في ذلك الوقت. وقد سهل قمر الدولة للقوات المملوكية مهمتها، وهي في طريقها لمحاربة الملك داود كما شارك بعض جنوده في هذه الحملة. وقد حصل في مقابل هذه الخدمة على حكم ما كان تحت يده من بلاد النوبة[47].

ويبدو من بنود اليمين حرص السلطان بيبرس على تأمين حدود مصر الجنوبية، وذلك بإلزام ملك لنوبة بأن يكون خاضعا له في كل شيء وأن يخبره بأي حدث أو خبر يتصل بأمن مصر. واشترط عليه ألا يسمح بدخول العربان أرض

---

[41] النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 221، مسعد، الإسلام والنوبة، ص 150.

[42] المقريزي، السلوك، ج 2، ص 95.

[43] المقريزي، المواعظ، ج1، ص 202.

[44] كمبال (تهاني محمد)، تاريخ دنقلا العجوز وتحولها للإسلام، الخرطوم، 2001، ص 93.

[45] القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص 88.

[46] القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص 88.

[47] المقريزي، السلوك، ج2، ص 94.

النوبة، وهذه الشرط يصور مدى الخطر الذي كان يسببه العربان للمماليك. ومن المعلوم أن العربان كانوا آنذاك رحالة في صعيد مصر وأن ولائهم غير مضمون للسلطان لذلك خشي السلطان بيبرس أن يبتعدوا عن يده وأن يتحالفوا مع النوبة ويصحبوا خطراً على الحدود الجنوبية.

وعلى هذا أتمت الحملة مهمتها، بعد أن أطلقت أسرى عيذاب وأسوان، وغادرت دنقلة في ذي الحجة من العام نفسه 674هـ/1276م إلى القاهرة وبرفقتها عشرين أميراً نوبياً لضمان وفاء النوبيين بالتزاماتهم تجاه الدولة المملوكية. وتذكر المصادر إن الحملة خربت كنيسة سوس (المسيح) بدنقلة. وأخذت ما فيها من أدوات ذهبية وأواني فضية نفيسة[48].

وتروي المصادر أيضاً كيف استعرض السلطان بيبرس الأسرى النوبيين في القاهرة الذين بلغ من كثرتهم أن بيع الرأس بثلاثة دراهم، ويذكر المقريزي أنه: "فضل بعد القتل والبيع عشرة الاف نفس". هذا وإن صح فهو دليل على مدى ضخامة الحملة المملوكية ومدى ما تعرضت له بلاد النوبة من النقص في الرجال والأموال[49]. كما يذكر البعض أن هذه الأحداث عجلت بنهاية الكنيسة النوبية، ونظمها ومنذ ذلك التاريخ اعتنق الكثير من النوبيين الإسلام ليتخلصوا من الجزية[50].

وعلى الرغم من المواثيق والعهود التي حصل عليه السلطان بيبرس، ورغم التنظيمات التي أجراها في بلاد النوبة ليوطد السلطة المملوكية فيها كإنشاء طريق للبريد من قوص، ثم يتشعب شعبتين، احداهما إلى أسوان والنوبة، والأخرى إلى عيذاب[51]، فإنه لم يكن مطمئناً بشكل كامل إلى ولاء الملك شكندة. لذلك قرر عزله واستبداله بملك أخر يثق به وبإخلاصه للدولة المملوكية، ويكون عيناً للسلطان في أرض النوبة. وكلف بيبرس أحد الإسماعيلية الفدائيين ويدعى سلامة[52] باغتيال شكندة فمات شكندة قتيلا سنة 676هـ/1277م[53]، بعد عام من تنصيبه وهي نفس السنة التي توفي السلطان بيبرس.

خاتمة:

أسس الظاهر بيبرس لدولة مملوكية قوية، وانعكست شخصيته الحربية غير المهادنة وذكاءه السياسي على محيط الدولة الجغرافي، كان يدرك بأن تلك الدولة إن لم تبدأ قوية متماسكة وتفرض شروطها وهيبتها العسكرية، فإنها ستحكم على نفسها بالفشل المحتم، فامتلك جيشا قويا مدربا، وجهازا سياسيا متمرسا يدعم شروطه وقراراته.

والنوبة كانت جزءا من تلك السياسة العامة، فقد عرف سكان النوبة الحدود التي لا يمكن أن يتخطوها في أطماعهم ورغباتهم وحملاتهم التي قاموا بها كمحاولة لتحسس ومعرفة رد فعل المماليك، التي لم تقتصر على الدفاع عن ممتلكاتهم وحدودهم، بل تخطتها في قوتها إلى عمق أراضي النوبة، بحملة استطاعت أن تفرض سياسة طويلة

---

[48] المقريزي، المواعظ، ج1، ص 202.

[49] مسعد، الإسلام والنوبة، ص 151.

[50] كمبال، تاريخ دنقلا، ص 96.

[51] عاشور، العصر المماليكي، ص 82.

[52] يعتقد بأن سلامة كان من أولئك النوبيين العاملين بمصر وأصله من مملكة الأبواب التابعة لمملكة علوة وذلك لأنه كان ذو خبرة ببلاد النوبة، وعادات أهلها وتقاليدهم لذلك اختاره السلطان بيبرس. وليس كما ذكر ابن عبد الظاهر بأنه أحد الإسماعيلية لأن هؤلاء كانوا من ألد أعداء بيبرس الذي حاربهم واكتسح حصونهم، وقضى عليهم عام 671هـ/ 1272م. للمزيد انظر حمد الله، الحرب والمجتمع، ص 87-88.

[53] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح. مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1961، ص 154.

ومستدامة، ويعرف النوبيون مهانة المعاهدات غير المتكافئة، بالخضوع لشروط الطرف الآخر والالتزام بفارق القوة الحاصل بينهما، على الأقل خلال فترة الظاهر بيبرس، وربما دفعت النوبة ثمن التحريض الأوربي المسيحي الذي كان يأمل في القضاء على دولة المماليك مبكرا، وحاك المؤامرات والخطط واصدر قرارات الحرمان على من يتعاون مع تلك الدولة، وجعل من النوبة رأس حربة في جنوب دولة المماليك لإضعافها وإشغالها، كي يتاح له التحكم في تجارة البحر المتوسط.

References

ABD AL-JALIL AL-SHATIR, Ma'alim Tarikh Soudan Wadi al-Nil min al-Qarn al-Ashir ila al-Qarn al-Tasi' Ashr Miladi, al-Hai'a al-Misria al-Ama lil-Kitab, Cairo, 1969.

AL_QOUSI, ATIAm Tarikh Dawlat al-Kounouz al-Islamia, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1981.

AL_SHAMI, ABD AL-'AL, Mouhadrat fi al-Joughrafia al-Tarikhia, Tariq Idhab Qus Khilal al-Asir al-Wasit, Cairo, 1988.

AL-'INIZI, AHMAD SHMIKH, Al-Hayat al-Fikria fi al-Asir al-Mamlouki al-Thani fi Misr wa al-Sham wa alHijaz, al-Hay'a al-Ama al-Souria lil-Kitab, Wizarat al-Thaqafa, Damascus, 2010.

AL-DAHABI, Tarikh al-Islam wa Wafiat al-Mashahir wa al-A'lam 671-681h), ed. Oumar Abd al-Salam Tadmouri, vol. 50, Dar al-Kitab al-Arabi, Cairo, 1999.

AL-JAMAL, SHOUKI, Tarikh al-Mouslimin fi Afriqia wa Mashakilahm, Dar al-Thaqafa lil-Tawzi' wa al-Nashir, Cairo, 1996.

AL-MAQRIZI, Al-MawaIz al-I'tibar bi dhikr al-Khitat wa al-Athar, ed. 1, Cairo, 1987.

AL-MAQRIZI, Al-Suluk li Ma'rifat Doual al-Moulouk, ed. Mohammad Abd al-Qadir Ata, Dar al-Koutub al-Ilmia, ed 1, Beyrouth, 1997.

AL-NOUAYRI, Nihayat al-Arab fi Finoun al-Adab, Al-Hay'a al-Misria al-Ama lil-Kitab wa Dar al-Koutoub wa al-Watha'iq al-Qaoumia, Cairo, 1990.

AL-QALQASHANDI, Subh al-Asha fi Sina'at al-Insha', al-Mu'asasa al-Misria al-Ama lil-Ta'lif wa al-Tarjama wa al-Nashir, Cairo, 1963.

AL-SAFADI, Al-Wafi bil-Wafiatm ed. Ahmad al-Arna'out wa Zaki Moustafa, vol. 10, Dar al-Ihia' al-Turath al-Arabi, Cairo, 2000.

ASHOUR, SA"ID ABD AL-FATAH, Al-Asir al-Mamaliki fi Misr wa al-Sham, Dar al-Nahda al-Arabia, Cairo, ed. 2, 1976.

BAZ, KARAM. AL-SAOUI, Mamalk al-Naouba fi al-Asir al-Mamlouki-Idmihlalaha wa Souqotaha wa Athrho fi al-Islam fi Soudan Wadi al-Nil, Maktabat al-Anjlo al-Misria, Cairo, ed. 1, 2006.

CAMBIL, TAHANI MOHAMMAD, Tarikh Danqala al-Ajouz wa Tahoulha lil-Islam, Al-Khrtoum, 2001.

FANTINI, J., Tarikh al-Masihia fi al-Mamlik al-Naoubia wa al-Soudan al-Hadith, Al-Khrtoum, 1978.

HAMADALAH, MOHAMMAD, Al-Harb wa al-Moujtama' fi Bilad al-Naouba khilal al-Hukm al-Mamlouki li-Misr fi al-Fatra (648-923-1250-1517), Al-Minia, 2016.

IBN ABD AL-ZAHIR, Al-Rawd al-Zahir fi Sirat al-Malik al-Zahir, ed. Abd al-Aziz al-Khouitr, ed. 1, al-Riad, 1976.

IBN ABD AL-ZAHIR, Tashrif al-Ayam wa al-Ousour fi Sirat al-Malik al-Mansour, ed. Mourad Kamil, al-Shrika al-Arabia lil-Tiba'a wa al-Nashir, ed 1, Cairo, 1961.

IBN ABI AL-FADA'IL, Al-Nahij al-Sadid wa al-Durr al-Farid fima Tarikh Ibn al-Amid, ed. Etien Blouchet, vol. 1, Paris, 1919.
Ibn al-Furat Tarikh al-Dual wa al-Mulukm ed. Qustantin Zuriq wa Najila Izz al-Din, Dar al-Matba'a al-Amrikia, Beyrouth, 1938.
Ibn Aybak al-Dawadar, Kanz al-Durr wa Jami' al-Ghurr, al-Durra al-Zakia fi Akhbar al-Dawla al-Turkia, ed. Oulrikh Harman, Markaz Wadoud lil-Makhtotatm Cairo, 1973.
KAMIL, MOHAMMAD SAYYD, Al-Ustadar wa al-Ustadaria fi Misr-Asr al-Mamalik al-Jarakisa, Majalat Wq'I' Tarikhia, Markaz al-Bouhouth waal-Dirasat al-Tarikhia, Kouliat al-adab,, Universte Cairo, vol. 9, julay, 2008.
MASAD, MOUSTAFA, Al-Islam wa al-Naouba fi al-Ousour al-Wista, Bahith fi Tarikh al-Soudan wa Hadartouh, Maktbat al-Anjlo al-Misria, Cairo, 1960.
MUHANA,Muhamad N, Tathir al-Hadara al-Islamia ala Janoub Misr, Bilad al-Naouba wa Soudan wadi al-Nil fi al-Usour al-Ousta, al-Tarih al-Askari ,al-Daour al-Harbi li-Janoub Misr abra al-ousour, Markaz Dirasat al-Moustaqbal, Jamiat Asiout, 17-18 Abril, 1996.
NADIM, MAHMOUD, Al-Fan al-Harbi lil-Jaysh al-Misri fi al-Asir al-Mamlouki al-Bahri, Dar al-Kutub al-Misria, 1983.
Newbold, D., The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, *Sudan Notes and Records*, vol. 26, no. 2, 1945, pp. 213-227.
SAFI' IBN ALI, Husun al-Manaqib al-Syria al-Mountaza'a min al-Syra al-Zahiria, ed. Abd al-Aziz al-Khouaytr, ed. 2, al-Riad, 1989.
Seignobod , R., L'autre Ethiopie : La Nobie et la Croisade (XIIe-XIVe siècle), Annales d'Ethiopie, vol. 27, année 2012, pp. 49-69.
SOUROUR, MOHAMMAD JAMAL, Al-Zahir Baibars wa Hadarat Misr fi Asrihi, Matba'at Dar al-Kutub al-Misria, Cairo, ed. 1, 1983.
TAQOUSH, MOHAMMAD SUHIL, Tarikh al-Mamalik fi Misr Wa Bilad al-Sham, Dar al-Nafa'is, Beyrouth, ed. 1, 1997.
THOURAO, PETER, Al-Zahir Baibars, tr. Mohammad Jadid, Qadmas lil-Nashir wa al-Touzi', Damascus, ed. 2, 2002.